الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري
شربل كريّم

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01/666314ـ15 ـ
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

صولة الأسد

جعفر البكلي *

ابتسم حافظ الأسد ابتسامة راضية، وهو يستمع إلى المترجم الروسي ينقل له كلمات يوري أندروبوف الحاسمة: «تأكد، يا سيادة الرئيس، أننا لن نخذلك. ولن نتركك تجابه أعداءك وحيداً». صمت الزعيم السوفياتي قليلاً، قبل أن يضيف، بنبرة ودودة، وهو يتطلع من خلف نظارته الطبية في وجه ضيفه السوري، ومرافقيه: «سيادة الرئيس، يسعدنا أن نخبركم بأننا نوافق على مطلبكم. وسنعمل على تزويد القوات المسلحة السورية بكل ما ينقصها، ويلزمها من المنظومات الدفاعية». سكت أندروبوف، من جديد، ليترك للمترجم فرصة نقل عباراته إلى الضيوف السوريين، ثم أردف قائلاً: «وكذلك، فإننا سنعمل على تجهيز الجيش السوري، في القريب العاجل، بهذه المعدات القتالية الحديثة، وبالخبرات اللازمة لتشغيلها، وإدارتها، وصيانتها». فجأة، ارتسم شيء من الضيق على وجه وزير الدفاع السوفياتي ديمتري أوستينوف، وبدا عليه تململ من اندفاع زعيمه الجديد أندروبوف. وقال أوستينوف، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة باردة: «أعتقد أن تزويد الأصدقاء السوريين بما طلبوه، يحتاج إلى مقدار وافٍ من الوقت. وأنا أعرف أنّ الرئيس الأسد لا يعوزه الصبر والتفهّم لما يحتاج إليه نقل هذه المعدات الجديدة إلى سوريا من عوائق فنية ولوجستية». ظهر تجهّم على وجه الرئيس حافظ الأسد، وقال لوزير الدفاع السوفياتي: «من سوء الحظ، يا مارشال أوستينوف، أنّ جنود الجيش العربي السوري وضباطه لم يعد باستطاعتهم الانتظار أو التحلي بفضيلة الصبر، بعد كل ما تعرّضوا له من عدوان إسرائيلي غاشم استهدف أرواحهم، وسلاحهم، وكرامتهم». أجاب أوستينوف بفتور: «لكن، يا سيادة الرئيس، يجب أن تتفهموا أنّ كثيراً من منظومات الدفاع الجوي التي تطلبونها ليست متوافرة حالياً، ونحن نحتاج إلى وقت كاف من أجل صناعتها وإرسالها». حسم أندروبوف الجدل الدائر بين الرئيس السوري ووزير الدفاع السوفياتي، فقال للأخير بنبرة حادة: «إذا لم يكن هناك فائض كافٍ من السلاح الذي تطلبه سوريا، فاذهب وخذه من مخازن الجيش الأحمر، وأرسله، إلى دمشق، فوراً». وأضاف أندروبوف، وسط دهشة كل من استمع إلى كلماته القاطعة، في مساء يوم 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1982، في قاعة الاجتماعات الكبرى، في مبنى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي: «إننا لن نسمح لأحدٍ بأن يهدد سوريا». كان هذا الموقف العظيم المساند لسوريا بقوّة، أفضل كثيراً مما حلم به حاكم دمشق وتخيّله. شعر الأسد الجريح أنّ الأوان أن لكي يتنفس بعض الصعداء، بعد عَنَتِ السنوات العجاف الخوالي، ومهانتها، ومراراتها.

«ضربة المعلّم»

اعتبر الرئيس السوري حصيلة زيارته للاتحاد السوفياتي ممتازة جداً، فقادة الكرملن قرّروا، أخيراً، أن ينجدوه بأفضل ما في ترسانتهم من السلاح. ولقد جاء الأسد إلى موسكو، في 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1982، من أجل حضور مراسم جنازة الزعيم ليونيد بريجنيف، وتقديم واجب العزاء لخليفته. وكان حافظ الأسد يعرف يوري أندروبوف جيداً، فقد التقاه قبل خمسة شهور لقاءً مطوّلاً، يوم طار إلى العاصمة السوفياتية سرّاً، لكي يحُثّ قادتها على إعانة سوريا في المحنة اللبنانية، بعد أن قصف الإسرائيليون منظومات دفاعها الجوي، وأبادوا معظم بطاريات صواريخ «سام 6» التي نشرها السوريون في منطقة البقاع (1). ووصل الأمر بالرئيس السوري إلى حدٍّ جعله يرجو القادة السوفيات أن يستخدموا الخط الساخن (ما يُسمى «الهاتف الأحمر»)، لأجل الضغط على الأميركيين. ويومها، وجد الأسد أنّ أندروبوف رجل متفهم لطروحاته ومطالباته، لكنّ يده بدت أقصر، في ذلك الصيف، من أن تبادر إلى تدخل عسكري أو دبلوماسي، في قضايا الشرق الأوسط الحارقة. وسريعاً ما فهم الأسد أنّ أندروبوف غير جاهز، في ذلك الحين، لمدّ يد العون إليه، من دون تكليف أو توجيه من بريجنيف الذي كان يغرق في احتضار طويل. بيد أنّ الظروف ـ لحسن حظّ الرئيس السوري ـ ما لبثت أن تغيّرت تغيّراً جذرياً، في الخريف.

وحينما عاد الأسد إلى دمشق، كان في جعبته كثير من الغنائم. لقد حصل أخيراً على بطاريات صواريخ «سام 5» التي لم يسبق لها، قطُّ، أن نُشرت خارج نطاق دول حلف وارسو. وكانت تلك المنظومة الجديدة تتميّز بأنها بعيدة المدى، وفعّالة ضد الأهداف الشديدة الارتفاع (2). ومثّلت صواريخ «سام»، وقتئذ، بأنواعها المتنوعة، وراداراتها، وأجهزة تشويشها، ومعداتها المعقدة للرقابة والسيطرة، عماد نظام الدفاع الجوي في الاتحاد السوفياتي كله. ولم يكتفِ حافظ الأسد بصواريخ «سام 5» التي تنقصه، فقد حصل أيضاً على قذائف Sepal-SS-C 1B، وكانت هذه صواريخ مضادة للسفن، ذات رؤوس حربية ضخمة مدمرة. ثم إنّ الأسد زاد غلّته، فاستحصل من السوفيات على قذائف Tochka 21-OTR، وكانت، يومها، النسخة الأكثر تطوراً من صواريخ أرض ـ أرض (3). وأكمل الرئيس السوري مساعيه من أجل ترميم قوات بلاده الجوية، فزوّدها بمقاتلات «ميغ 23». وأما القوات البرية السورية، فقد دعّمها بدبابات «تي 72». وبذلك استطاع أن يعوّض كل خسائر جيشه المادية في حرب لبنان، بل إنه أعاد تسليح قواته بأفضل مما كان لديها. على أنّ «ضربة المعلّم» تمثلت في مسألة أهمّ من جميع أنظمة السلاح، فلقد حصل الأسد على تعهد واضح من أندروبوف، بأن الجيش الأحمر بنفسه سيحمي سوريا إذا ما تعرضت لخطر غزو خارجي. وبذلك أدخل الأسد في معادلة توازنات الشرق الأوسط لاعباً مباشراً من الحجم الثقيل، وأصبح للجيش العربي السوري قوة عالمية عظمى تسند ظهره.

«وسوى الروم، خلف ظهرك روم»

وكان على الأسد، بعد أن عالج في موسكو بعض جراحه النازفة، أن يتأهب للوثوب على أعدائه الذين احتلوا أرض لبنان، ثمّ ظنوا أنّ باستطاعتهم، كذلك، أن يخنقوا سوريا. ولم يكن خافياً على الأسد أنّ أوزان القوة ـ رغم التعديلات الأخيرة ـ ما زالت في غير صالحه. فقد كانت جبهته الداخلية غير مؤمّنة تماماً، بسبب الصراع المرير والدامي مع الجماعات الإسلامية المسلحة الذي امتد طوال سبع سنوات كاملة. وعلى الرغم من إجهاز الأسد على جماعات «الإخوان»، في موقعة حماة، فإنّ ذلك لم يكن كافياً لتأليف القلوب، ورصّ

> أندروبوف لوزير دفاعه: إذا لم يكن هناك فائض من السلاح فاذهب وخذه من المخازن وارسله إلى دمشق

الصف الداخلي. وأما في لبنان، حيث أرض الصراع مع الإسرائيليين، فقد كان عملاء العدو يقبضون على مقاليد السلطة، ويحتلون الساحة عملياً. وصحيح أنّ الأسد تخلّص من كبيرهم، قبل شهرين، إلاّ أنّ أعوانه ما زالوا في كل مكان. وهم يستقوون عليه، بالقوات المتعددة الجنسيات التي تؤازرهم، وبالعدو الإسرائيلي الذي جلبهم إلى سدّة الحكم، في حمى دباباته. وعلى المقلب الآخر، كان الأسد يرى عدوّه مناحيم بيغن مرتاحاً تماماً، فهو قد حيّد مصر، واستراح من خطر العراق، وابتلع لبنان، وطرد الفلسطينيين، وأدمى أنوف السوريين، وفوق كل ذلك، فإنّ بيغن وجد في ريغان حليفاً لم تأتِ أميركا بشبيه له، من قبل! ولم يبالِ ريغان، منذ انتخابه، قبل عامين، بالعرب عموماً، وبالقضية الفلسطينية خصوصاً، بل إنه عمد إلى إرث سلفه كارتر، فأطاحه. وكان أوّل ما صنعه ريغان وإدارته، هو طيّ مسألة الحكم الذاتي الفلسطيني الذي «بشّر» كارتر العرب به. واستولى على فكر ريغان هاجسان لا ثالث لهما: القضاء على الخطر السوفياتي ووكلائه، والقضاء على ما سمّاه «الإرهاب العالمي». ولقد كان الأسد، بالنسبة إلى الأميركيين، يجمع «الحُسنيين» معاً، فهو «وكيل السوفيات» في الشرق الأوسط، وهو «ناصر الإرهاب» في العالم. وبالتالي، لم يكن أمراً مفاجئاً للأسد أن يسمع ريغان وهو يعلن، في 1 أيلول/ سبتمبر 1982، ما سمّاه «خطته للحل في الشرق الأوسط»، فلا يورد فيها اسم سوريا بالمطلق، ولا يذكر كلمة واحدة عن قضية الجولان المحتل!

ولم تكن مشاكل الأسد مقتصرة على أعدائه الصريحين، ولا على ضرباتهم المباشرة له. فهو إذا تطلع نحو الجنوب رأى حسْنَاً، وإذا التفت شرقاً وجد صدَاماً، وإن هو شَخَص ببصره نحو الشمال يواجهه الجنرال كنعان إيفرين.

وكل أولئك أوْلى أن يُسمّيهم أعداءً لا أصدقاءً! ولقد كان هَمّ هؤلاء الرهط ولَمْزهم، يبلغان أحياناً دركاً من السفالة والحقارة غير مسبوق. فصدّام يدّعي أنّ السوريين تحالفوا مع شارون ضد الفلسطينيين، ومبارك يزعم أنّ السوريين اتفقوا مع بيغن لاقتسام لبنان. وحسين ـ الأردن يقول إنّ هدف السوريين الحقيقي هو تصفية القضية الفلسطينية. وحتى القذافي ـ وهو صديق قديم ـ أصبح مستاءً من السوريين لأنهم لا يقاتلون الإسرائيليين حتى آخر جندي منهم! لكنّ أكثر من كان يغيظ الأسد هو ياسر عرفات، فقد ظل هذا الأخير يتشدق بأنه قاتل شارون وحده، وأنّا السوريون فقد فرّوا وتركوه، في الميدان، وحيداً. وكانت تلك الادّعاءات العرفاتية ـ بالنسبة إلى الأسد ـ خليطاً من التبجّح، والكذب، والجحود. فالسوريون حاربوا بشجاعة، في لبنان برّاً وجوّاً. بل إنّ لواءً من الجنود السوريين، يقوده العميد محمد حلال، حوصر في بيروت الغربية وتقطّعت به السبل. وحارب أولئك السوريون جنباً إلى جنب مع إخوانهم الفلسطينيين، حتى نهاية المطاف. ولقد كان أشدّ ما يغيظ الأسد من ظلم العرب ـ «ذوي القربى» ـ ومزايداتهم، أنّهم يجحدون حتى دماء السوريين التي سالت في أرض المعركة. ولم يكن ما بذله السوريون، في حرب لبنان، قليلاً، فقد سقط لهم ألف ومئتا شهيد، وثلاثة آلاف جريح. ودُمِّر لهم أكثر من ثلاثمئة دبابة، ونصف ذلك العدد من ناقلات الجنود المدرعة. وخسروا ستاً وسبعين طائرة حربية، وستّ مروحيات، وفقدوا ستين طيّاراً في المعارك الجوية مع العدو.

«فتية آمنوا بربهم»

بيد أنّ خيارات الرئيس السوري وتحالفاته، وإن كانت محدودة ومحصورة، فهي لم تعدم بعض الأصدقاء الحقيقيين. ومثلاً، فإنّ تقاربه مع إيران أخذ يثمر بعض النتائج. ولقد ظلّ هذا التقارب يجلب على الأسد سيولاً لا تنتهي من التشنيع والتشويه والمذمّة والازدراء. لكنّ القادة العرب الذين كانوا يستقبحون تقرّب الأسد من الخميني، لم ينجدوه يوم احتاج إلى الدعم في معارك البقاع ضد الإسرائيليين، بأيّ من كتائبهم. وحدَهُ «الحرس الثوري الإيراني» من فعل ذلك: فجاء إليه بأفواج من المتطوعين القادمين من جبهات القتال في الأهواز. ويومها، سخر الكثيرون ـ ومن بينهم بعض قادة الجيش السوري نفسه ـ من أولئك الفتية الأعاجم الذين عصبوا رؤوسهم بعصائب حمراء كتب عليها «يا حسين»، و«يا زهراء»، وأخذوا يحاولون تنظيم بعض الشبان في بعلبك، وتدريبهم. وقيل للأسد: «ماذا يمكن لهؤلاء الشيعة الإيرانيين واللبنانيين أن يزيدوا أو يُنقصوا؟». على أنّ «الفتية» سريعاً ما بان بأسهم. وكانت أولى ضرباتهم مدوية حقاً! فقد فجّر شاب يدعى أحمد قصير، لم يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، في صباح يوم 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1982، مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي، في مدينة صور، فأوقع مئة وخمسين صهيونياً، وحدات المارينز في بيروت، وسقط 241 من الجنود الأميركيين صرعى. وهذه كانت أكبر ضربة ينالها «اليانكي» منذ موقعة «بيرل هاربور». بعد ذلك مباشرة، انسحب الأميركيون من بيروت، وهم لا يلوون على شيء. يومها، قال وزير خارجيتهم جورج شولتز: «إنّ بيروت هي الطاعون».

ظلّ حافظ الأسد يراقب ملياً ما يصنعه حلفاؤه الطيبون. لم يكن باستطاعته، بالطبع، أن يؤيد صراحةً أفعالهم، لكنها لم تسؤه على الإطلاق. وبدا واضحاً أنّ الخروج المباشر للأميركيين من المشهد اللبناني يصبّ في مصلحة دمشق، ويضعف من قدرة أعدائها. على أنّ الأسد ـ وهو من هو في إتقان فنّ الانتظار ـ لم يكن بمقدوره أن يقف محله ساكناً يراقب الطرائد الشاردة التي انتابها الفزع من دون أن ينقضّ على بعضها، فيفتك بها، أو يستدرج أخرى إلى شراكه. لقد كان همّه، الآن، أن يقلب الطاولة على كل أعدائه. وكذلك أنشأ الأسد حروباً متنوعة على جميع خصومه، في كافة أرجاء لبنان. لقد أراد أن يصفّي حساباته معهم دفعة واحدة. وكان الأسد يعرف نقطة ضعف الإسرائيليين جيداً: ليس لهم طاقة على تحمّل الخسائر البشرية الفادحة. لذا فإنه أسهم في انبثاق مقاومة مسلحة أخذت تطاردهم في كل مكان. وأمّا «القوات اللبنانية» وحلفاؤها، فقد أطلق عليهم حليفه جنبلاط، فلم يلبثوا كثيراً حتى انهزموا في «حرب الجبل».

وأطلّ عرفات برأسه في البقاع، فأطبق عليه بقادة من حركة «فتح» نفسها، فطردوه. وعاد عرفات من جديد للظهور في طرابلس، فقذفه الأسد خارجها. وحاول الشيخ سعيد شعبان ـ حليف جماعة «الإخوان المسلمين» القديم ـ أن يتمرد، فنال العقاب. عندها، دانت الساحة كلها للأسد الصائل. وحاول الإسرائيليون أن يستمسكوا بشيء مما بذلوه في لبنان، فضغطوا على حكومة أمين الجميّل الضعيفة كي توقّع اتفاقية سلام معهم. وبالفعل تمّ لإسرائيل ما أرادته، في 17 أيار/ مايو 1983. بيد أنّ الأسد لم يخضع لهذا الاتفاق الكريه الذي اشترك في صياغته أميركيون، فلقد أولى العملية الأعاجم الذين عصبوا رؤوسهم بعصائب حمراء كتب عليها «يا حسين»، و«يا زهراء»، من ضباط العدو وجنوده، بين قتيل وجريح. وفتح ذلك الشاب عهد الاستشهاديين. كانت ضربة أحمد قصير أقسى ضربة ينالها الجيش الصهيوني، منذ أن اجتاح لبنان. وبعد خمسة شهور فقط، نال «الفتية» من الأميركيين أنفسهم. فقد فُجّر، في يوم 18 نيسان/ أبريل 1983، مبنى السفارة الأميركية في بيروت. وكان من بين القتلى الثلاثة والستين مدير فرع المخابرات المركزية، ونائبه، وثلّة من كبار ضباط الـ«سي آي إيه»، بينهم روبرت أميس كبير محللي الوكالة لشؤون الشرق الأوسط. ولم تكن تلك العملية آخر مصائب الأميركيين في لبنان. ففي 23 تشرين الأول/ أكتوبر 1983، تم تفجير مقر

> لم تكن مشاكل الأسد مقتصرة على أعدائه الصريحين ولا على ضرباتهم المباشرة له

من لقاء الأسد مع بريجنيف في موسكو عام 1972 (أ ف ب)

* كاتب عربي

سجال

«بيروت مدينتي» لعيتاني: هذه أسباب التقصير

تعقيباً على الحديث الذي أجرته «الأخبار» مع رئيس بلدية بيروت المهندس جمال عيتاني في 28 أيلول 2018، يهم «بيروت مدينتي» توضيح بعض النقاط التي سجّلها هذا الأخير إزاء ملف معالجة النفايات ومفهومه للمساحات العامة والخضراء في بيروت. ومن أجل نقاش حقيقي وعلمي بعيد عن العموميات والاجتزاءات كما لاحظنا في أكثر من نقطة في المقال، يهمنا إيضاح النقاط الآتية:

في ما يخص مسألة الفرز والتخفيف من المصدر، وهي مسألة جوهرية تسبق عملية معالجة النفايات، ذكر المهندس عيتاني أنّ البلدية لم تتسلّم ملف النفايات إلا منذ 6 أشهر... وأنّها بدأت تتعاون أخيراً مع بعض الجهات غير الحكومية في منطقة رأس بيروت... نذكّر رئيس البلدية في هذا الصدد بأنّ القانون أوكل إلى البلديات في لبنان مهمة ضمان النظافة العامة والصحة العامة منذ السبعينيات (مرسوم المحافظة على النظافة العامة وقانون البلديات نفسه)، ولم يعد من المقبول التنصّل من هذه المسؤولية بحجّة تكليف جهات أخرى ملف النفايات خلافاً للقانون. وكما نذكّره بأنّ الوعود والتعهدات التي تصدّرت برنامجه الانتخابي مرّ عليها أكثر من سنتين، ولم تشهد العاصمة أي مبادرة جدّية وعلمية وشاملة ترتكز على مبادئ الفرز من المصدر، والتقليل، وإعادة الاستخدام، والتدوير؛ وهي آليات وتقنيات كما هو معلوم لا غنى عنها بمعزل عن مسألة المحارق... في حين نجحت مدن وقرى أخرى حيث لا يمكن حتى مقارنة حجم ومموارد بلدياتها مع بلدية بيروت في تحقيق ذلك.

فما الذي منع البلدية منذ عام 2016 من نشر وتعميم ثقافة تخفيف النفايات من المصدر بالتنسيق مع الروابط والجمعيات والأهالي في مختلف أحياء العاصمة؟ هل كانت تنتظر إذاً مجلس الإنماء والإعمار للقيام بواجباتها؟

ما هي الخطوات التي قامت بها البلدية لحث الناس وتحفيزهم على الفرز؟ فبعد مرور عقود من الاستهتار وعدم دراية مدى مخاطر غياب سياسة شاملة تعالج ملف النفايات، هل من المعقول أن يراهن رئيس البلدية على فيديو تمّ نشره على الملصقات الإعلانية لمدة لا تتخطّى بضع ثوانٍ لتغيير سلوك مئات الآلاف من القاطنين في العاصمة؟

وكما أشار في جوابه بشأن شركة «رامكو»، نسائل رئيس البلدية لماذا لم يتخذ التدابير اللازمة، والتي هي في صلب صلاحياته، لمواجهة الرمي العشوائي والتخفيف منه؟ لماذا لم تبادر البلدية حتى اليوم إلى جمع النفايات الكبيرة الحجم والنفايات الورقية من المؤسسات الكبيرة والنفايات العضويّة مباشرةً من المطاعم والسوبر ماركت، كما وعد رئيسها في مؤتمره الصحافي في كانون الثاني 2017؟

ويهم «بيروت مدينتي»، التي تضم مجموعة كبيرة من الاختصاصيين البيئيين وتتعاون معهم، وتتجاوز تجاربهم قراءة حفنة من الدراسات، أن تلفت نظر رئيس البلدية الى أنّ الشاحنات التي تكبس النفايات خلال نقلها، كما هي الحال الآن، تمنع عملية فرزها وتقلل من فعالية إعادة تدويرها... ونتعجب حقيقة الأمر من لوم هؤلاء عبر الإيحاء بأنّهم يواجهون «التقنيات» بـ«مشاعر إنسانية»، ونتأمّل من رئيس البلدية الاستفادة من المعرفة والخبرات المتوفرة بدلاً من صدّها، ونحن نكرّر أنّنا لا نزال على أتم استعداد لوضعها في متناول البلدية، شرط التعاون والتنسيق الجديين.

أمّا بالنسبة إلى مسألة المحارق، فلا يزال المهندس عيتاني وللأسف يجترئ الإشكاليات الجوهرية من السياق الفعلي. الاعتراض الأساسي الذي سجّله على نموذج ما يسميه «التفكك الحراري» الذي تعتزم بلدية بيروت اعتماده هو بسبب عدم ملاءمته لنوعية النفايات في بيروت وانعدام أي من الشروط الضرورية لكيفية استخدامها والمقومات التقنية والسياسيات البيئية المتطورة وآليات المحاسبة اللازمة التي ستؤدّي لا محال إلى نتائج كارثية في حال إقامة المحارق. باختصار، هي لا توافق المعايير البيئية العالمية التي تشترط اعتمادها.

لا نزال حتى اليوم ننتظر نتائج دراسة تقييم الأثر البيئي الاستراتيجي التي، بحسب المرسوم الرقم 2012/8213، من المفترض أن تبيّن بالأدلة والأرقام والبراهين العلمية مدى أحقّية اعتماد هذه التقنية ومدى آثارها على البيئة. كما من المفترض أن تتم صياغة دفتر الشروط على أساسها، وهو أمر جوهري ومفصلي في هذا السياق. ونحن نراهن على شفافية البلدية ومهنيتها في هذا المجال، ففي ظلّ التعتيم على المعلومات وصدور تقارير ومواقف دولية واضحة مثال استشاريين أوروبيين وتقارير الاتحاد الأوروبي والبنك الدولي، تحذّر من مخاطر اعتماد تقنية المحارق في لبنان، بات من الملحّ تزويد الرأي العام بالمعلومات اللازمة والوافية والكف عن اجتزاء جوانب جوهرية وحاسمة في مسار إدارة النفايات في المدينة.

لا نزال حتى اليوم ننتظر المسوّغات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، بحسب المعايير المعتمدة دولياً، تجاوب على الاعتبارات المشروعة والعلمية التي أبرزتها «بيروت مدينتي» في كتاب وجّهته إلى البلدية في آب الماضي. وبالرغم من أنّ المحارق معتمدة في بعض البلدان المتقدمة صناعياً، فهي لا تزال مصدراً لتلويث الهواء ببعض أنواع الانبعاثات الخطيرة على الصحة العامة، وكذلك ببعض أنواع الجزيئات المتناهية الصغر ونانوية القياس التي لا تزال تتفلت من أكثر أكياس الفلاتر تقدماً ومن أغشيتها في العالم الصناعي اليوم. وتتجه هذه البلدان بحسب توجيهات الاتحاد الأوروبي الحالية إلى الابتعاد عن هذه التقنية الأخطر والاتجاه نحو التقنيات الأقل خطورة التي لا ترتكز على الحرق. ونعلم أيضاً بأن إدارة النفايات الخطرة المتولدة عن المحارق التي تلتقطها تجهيزات مكافحة التلوث تتم معالجتها والتخلص السليم بيئياً منها في منشآت خاصة متخصصة باستقبال النفايات الخطرة، فما هي خططكم لمواجهة هذه المخاطر؟ ولماذا لا يتضمن مشروعكم آلية المعالجة البيولوجية والحيوية للنفايات الصلبة والتي تثبت التجارب والدراسة أنّها أكثر فعالية وأقلّ ضرراً في حال تنفيذها بموازاة تدابير صارمة تطبّق خطّة التقليل، وإعادة الاستخدام، والتدوير (3Rs)؟

أما ما تضمّنه المقال بشأن الأسئلة حول المشاريع الأخرى التي تتعلق بالفسحات العامة وشبكات النقل وغيرها في المدينة، فلن نطيل التعليق باعتبار أن معظم الأجوبة جاءت مقتضبة وغير وافية، تلقي اللوم على الآخرين أو تعترف بالتقصير من دون أي تبرير. إنّما يهم «بيروت مدينتي» في هذا الصدد تذكير أهالي بيروت وسكانها بأنّ بلدية Région Île-de-France وضعت في متناول بلدية بيروت دراستين شاملتين قابلتين للتنفيذ اليوم (مشروع النقل السلس plan de deplacement doux ودراسة المخطط الأخضر plan vert ترصدان وتربطان جميع الفسحات بما فيها الفضلات، لتثبيت شبكة خضراء مترابطة ومتناهية مع محيطها في كامل أنحاء المدينة، تخفّف جذرياً من أزمات السير وتتيح للمشاة التنقل بسلاسة وأمان. كما وضعت دراسة المخطط الأخضر تصوراً واضحاً لحرج بيروت يعالج مخلفات الحرب الأهلية ويعيد تأهيله بدلاً من قضمه وتقليص مساحته، بحجّة استعمال أرضه لمنشآت وأغراض تشوّه موقعه وتمنع التمتع به.

حتى اليوم، استعملت هاتان الدراستان كـ blue prints لتزيين جدران البلدية ومكاتبها فقط، ولم نر أو نقرأ في قرارات مجلس البلدية أو تصريحات رئيسها أي إشارة إلى نية أو آلية لتنفيذها.

وبالنسبة إلى إشكالية النقل مثلاً، ومع إدراكنا الكامل بأنّ تنفيذ خطّة عامة تتطلب التعاون والتنسيق مع بلديات وجهات معنية أخرى، ماذا تنتظر البلدية لتنفيذ مشروع الـ Liaison Douce (وهو جزء من المشروع التجريبي لمشروع النقل السلس) الذي يربط حرج بيروت بوسط المدينة ويجعل من طريق الشام ممراً ملائماً للمشاة ويوفّر زحمات سير خانقة، والأهم من ذلك يساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بدلاً من الفرز الطائفي والفئوي المتفشي في العاصمة؟

أخيراً، نستغرب الخفّة في أجوبة رئيس البلدية حين يلقي اللوم على المحافظ في قضايا مثل «الإيدن باي» وغيرها. فمع تحفظنا الكامل على السياسة المتبعة من قبل هذا الأخير بشأن عدد من القضايا، سبق أن واجهناه فيها بالعلن، نسائل المهندس عيتاني لماذا لم يتخذ مواقف وتدابير صارمة وعلنية كما فعل غيره من المسؤولين المنتخبين المؤتمنين على مصلحة المدينة، كما فعل نقيب المهندسين في أكثر من مناسبة؟ ما هي المبادرات العملية التي اتخذها للتنسيق والتعاون مع المحافظ بدلاً من ترديد أسطوانة أن لبلدية بيروت وضعية خاصة؟

في انتظار الجواب عن بعض الأسئلة، نأمل أن يكون النقاش واقعياً وشفّافاً ودقيقاً يصب في مصلحة المدينة وأهلها وسكانها.